

بداية الخلق

التوفيق أولاً...!!

إن بداية الخلق... ما قبل آدم... بداية تهز النفوس أسأل الله أن يوفقنا في عرض هذا الموضوع وأن يفتح علينا ويفيض علينا من فيوضات كرمه.

وأساله سبحانه أن يوفقكم لحسن الإقبال بقلوب طاهرة نقيّة... اللهم آمين.

إن قصة بداية الخلق تنادي على كل قلب قاسٍ جامد غافل، أن أرفق... وستستجيب إليها القلوب إن شاء الله ولكن بشرط...!!

إن أجادوا حُسن الاستقبال.

تعالموا نَعْدَ لما هو قبل المضمرات، قبل الأنبياء، قبل آدم، قبل السموات والأرض لنبدأ القصة من البداية

كان الله وحده....!!

ماذا كان قبل آدم، قبل الملائكة، قبل الجن، قبل الأنبياء، قبل السموات والأرض، قبل السحب والرمال والبحار... ماذا كان قبل كل شيء...؟!

إجابة واحدة تنطق بها الأفواه في صوت واحد قائلة: «كان الله وحده».

جرعة ينبغي على كل القلوب أن تمتلئ بها... لا بد أن تغرس في القلوب هذه الجملة؛ ففيها يرسخ اليقين وحينها استشعر قدرة الله وعظمته ثم انظر لحجمك أيها المسكين الضعيف... أيها الكائن الذي لا حول له ولا قوة... حَقًّا ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: 91].

أضيء الصبيب... أما وقرني قلبك سيء؟

يقول الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٠٤﴾ [الحديد: 4].

إن كانت قراءتك لهذه الآيات قراءة فهم واستشعار لمعانيها ستكون النتيجة أن تأخذ نفساً عميقاً متبوعاً بقول: لا إله إلا الله فتخرج مندفعة من القلب... وليس هذا قانوناً عاماً يسري على كل الناس فلكل منا حال مع آيات الله...

إن هدف هذا المرضع - بداية الفلتان - يتلخص في هذه العبارة - كانت الله وحمده - وما يترتب عليها نهر امتلاء القلب بهداه الله ﷻ.

هيا... تهرد لهذا المعنى المطلق... وكل ما تراه من هولك البشر، الكائنات، السمس، القمر، التكنولرجيا المفترعات المعهبة،...

اعلم أن كل ذلك لم يكن شيئاً، فلقد كان الله وحمده...

أين كان ربنا...؟

ويروي الإمام أحمد⁽¹⁾ في مسنده وابن ماجه في سننه⁽²⁾، أن أحد الصحابة قال للنبي ﷺ: أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ فقال النبي ﷺ: «كان في عماء لا شيء معه».

إنها الحقيقة الكبرى...!! إننا مستحدثون على هذا الكون ويخطيء من يظن أننا الأصل... لا والله إننا سكان جدد على هذه الأرض، والسكان - كما نعرف جميعاً - ليس المالك...

لذلك كلنا محتاجون إلى مالك الملك الله ﷻ... ترى ما معنى «عماء» التي أوضحها النبي ﷺ للصحابي؟ معناها: هو ما يغمى على العقل أن يتخيله فلا يستطيع أن يتصوره أبداً... كان الله وحده ولا شيء.

مسكين أيها العقل كيف تستطيع إدراك أمر كهذا «كانت الله وحمده» تعجز عن

(1) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 11/4).

(2) أخرجه ابن ماجه في (الحديث: 882).

ادراكه العقوق والاذهان، هل يستطيع كروب أن يسترعب داخله ماء البهار؟ لا يمكن بالطبع... والله الممثل الاعلى.

أول هذا الأمر

عن عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: جاء وفد من اليمن إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، جئنا لتتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر، فقال النبي ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء غيره، كان الله ولم يكن شيء قبله» ولم يكن شيء غيره وهذا الحديث رواه البخاري⁽¹⁾. أخي الحبيب... تخيل هذا الحديث وما قبله وتفكر في كلمة - كان الله وحده - راسخ بخيالك وتفكيرك وعد إلى الوراء... أكثر فأكثر... حاول وتأمل ثم اقرأ هذه الآية بقلبك، يقول الله ﷻ:

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان: 1].

هل فهمت ما الذي أتصده من التفضيل والتامل؟ اننا نعمن البشر عند التفكير باخذنا المرفق ونستمره في الفلسفة فقط، أما اذا اردنا العمل والإسقاط على الواقع فلا وألف لا...!!

فهل نتذكر يوماً كنا فيه عدماً... لم نكن شيئاً نذكر؟! وان الله سبحانه وتعالى هو الذي ارهدنا وانعم علينا بهذه النعمة . نعمة الرجود . كيف نتكبر على الله بعد ذلك وهو مؤيدنا!! ألا تشعر بان عدم ركرك وسهررك لمُرهرك بعد تكبراً...!!

حقيقة يجب أن تستقر...!!

يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرَهُ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا بَقَضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٧﴾ [الزمر: 67] ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ۝١٨﴾ [الأنبياء: 104].

يقولون إننا إذا جئنا بأسد حقيقي وجئنا بطفل ثم وضعناه بجوار الأسد... ترى ما الذي يفعله الطفل؟ سيلعب بالطبع مع الأسد وسيضع يده في فمه... لن يخاف منه لأنه لا

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 7418).

يعرفه... لا يعرف ما هو الأسد... لا يقدر قدر الأسد...!! والله المثل الأعلى.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: 67].

أما الرجل العاقل الناضج يعرف قيمة الأسد ويعرف قدره.

ترى... متى تصل الى الرهبة الصعبة لا الرهبة الذكيرة... فلنا يعلم أن كل رهل ذكر، ولكن ليس كل ذكر رهل.

أضحي الصبي... إن العقائت لا تستقر بمجرد تكرارها على اللسان... إنما تستقر بالإيمان بها والعمل الدائم لها.

واهتز المنبر...!!

يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في يوم يصعد المنبر ينادي، ويقول بأعلى صوته: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾⁽¹⁾.

يقول عبد الله بن عمر: ثم علا صوته وظل يشير بيده صلى الله عليه وسلم ويقول: «يمجد الله نفسه يقول: أنا الملك... أنا الجبار... أنا القوي... أنا العزيز... أنا المدبر... أنا الأول... أنا الآخر...» يقول عبد الله بن عمر: فظل النبي صلى الله عليه وسلم يردد أسماء الله الحسنى، فرأيت المنبر يرتجف برسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن المنبر - الخشب - اهتز بجلال الله... لقد اهتز وتحرك، وقلوب البعض من بني آدم ما زالت جامدة تقرأ فقط... تأثر الجماد ولم تتأثر هي.

ماذا دهالك يا قلب المسلم... ما هذا الكسر الرهيب من المراتع والمراهن التي تعرفت دون وصول الإحساس الصادق المرفف إليك... من السبب يا ترى...!!

العراقيل... ما السبب في كون الصماد أهد تأثراً من القلوب التي كانت في يوم من الأيام تبكي العيون إذا ذكر الله في خلوة... إن هذه القلوب الآن تفعل الأفاعيل فتعق الوالدين... وتأني العجائب... وتهمل الصلاة.

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 7414)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 6977)، وأخرجه الترمذي في (الحديث:

3238)، و(الحديث: 3239).

يا قلوب المسلمين لقد اهتز المنبر أما آن الآوان لك!!؟

البداية والنهاية

هكذا كانت البداية - كان الله وحده - لا شيء مع الله ترى كيف ستكون النهاية؟!
وقبل ذلك لنرى أحوالنا وأمورنا التي تشغلنا فنحن الذين نعمار الأرض ونملأ الكون نشاطاً
وحركة وعلماً... منا من يرى الكون قرية صغيرة وبالفعل أصبحت كذلك حتى ظنَّ الإنسان
أنه قادر عليها وأنها أصبحت ملك يديه، وهنا يأتي مشهد النهاية وهو مشهد محسوم من قبل
المالك الحقيقي للكون... مالك الملك... الله ﷻ الذي يقول: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: 68].

يا لضعفك أيها الإنسان تظن أن بيدك كل شيء وتملك كل شيء ولكن ما تملكه هو
السراب... هل نسيت؟ أما قلنا: إنك ساكن - مستأجر - أفق... إنك لست المالك،
فالمالك وحده وهو الذي يحدد وقت إقامتك.

سبحان الله ان هذا الكون بدأ بنفخة من الله تبارك وتعالى في آدم
وسينتهي أيضاً بنفخة في الصور... ان دنيا تبدأ بنفخة وتنتهي بنفخة لهي هيئته
ولا تسادى هناع بعرضه.

تذكر... ماذا كان قبل كل شيء؟... من بيده الأمر؟ من هو الأول والآخر؟ من هو
المحيي والمميت؟ من هو المبدئ والمعيد؟
ثم تذكر... تذكر... من أنت!؟

سؤال له توابع!!..

وفي النهاية يصعق من في السموات ومن في الأرض من آخر نفخة في الصور... ترى
كيف تكون هذه الصعقة..؟!
الكل تصيبه هذه الصعقة... البهائم والطيور والأسماك والبشر والجن والملائكة...
الكل يفنى إلا من شاء الله.

ثم ينادي الله تبارك وتعالى: يا ملك الموت: من بقي حياً؟

تذكر نفسك بعد هذا السؤال أيها المسلم - فيقول ملك الموت: لم يبق إلا إسرافيل وميكائيل وجبريل وعبدك - ملك الموت - فيقول الله ﷻ: يا ملك الموت اقبض روح إسرافيل، فيقبض روح إسرافيل، ثم يقول الله ﷻ: من بقي يا ملك الموت؟ فيقول: لم يبق إلا ميكائيل وجبريل وعبدك فيقول الله ﷻ: اقبض روح ميكائيل؟ فيقبض روح ميكائيل.

تذكر زنوبك ورتيبك وغفلتك ومعاصيك...

ثم يقول الله ﷻ: من بقي يا ملك الموت؟ فيقول: لم يبق إلا جبريل وعبدك فيقول الله: اقبض روح جبريل فيقبض روح جبريل، ثم يقول الله: من بقي يا ملك الموت؟ فيقول ملك الموت، لم يبق إلا عبدك يا رب، فيقول الله ﷻ: يا ملك الموت، اقبض روحك. فيقبض ملك الموت روحه... ثم ينادي الله تبارك وتعالى:

فليسمع كل لاه، غافل، تائه، عاصي فليسمع كل منا بقلبه وليعلن كل قلب الاستقلال... استقلال قلبه من السنوات التي اهتمته سنوات طويلة

ينادي الله تبارك وتعالى ويقول: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ فلا يجيب أحد، فلا أحد.

فيجيب الله تبارك وتعالى: ﴿لِلَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ﴾ [غافر: 16].

أين الملوك؟ أين الجبابرة؟ أين الأكاسرة؟ يقول النبي ﷺ: «فيقول الله تبارك وتعالى: الملك اليوم لله الواحد القهار أربعين».

ترى أربعين يوماً، أم أربعين شهراً، أم أربعين سنة... لم يعد للزمن معنى فلقد سقط الزمن...

﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ سؤال بمثابة الزلزال الذي يزلزل هذا القلب فيهتز ويضج لله الراصد القهار ويكترن لسان حاله: من لي سراك؟!!

انه زلزال لا بد له من ترايع يظهر أثرها على الصواريخ... انني على يقين ان ترايعه ستفتك بهيرش الففلة.

من أنت أيها المسكين...؟!)

رأينا كيف كانت البداية وكيف ستكون النهاية وعلمنا أنه «كان الله وحده» في البداية والنهاية.

أما فهنا الآن اسم الله الأول واسم الله الآخر...؟

يقول الله ﷻ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [الحديد: 1، 2].

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: 3].

وانظر إلى النبي ﷺ حين يدعو ويقول: «اللهم رب السموات والأرض ربنا ورب كل شيء، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»⁽¹⁾.

ولكأن الكلمات تنادي عليك أنك اغرسني في قلبك لتحصدها أطيب الثمار من اشجار الإيمان.

نعم... كما أوضحنا في السابق: أن قصص الإيمان من أهدافها غرس العقيدة ورسوخها وكيف لا ترسخ وقد علمت أن الله هو الأول فليس قبله شيء وهو الآخر فليس بعده شيء... وهو خالق السموات والأرض... وهو القادر على كل شيء وهو المبدئ والمعيد، يقول الله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: 27]. ويقول أيضاً: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [العنكبوت: 19].

حين يفكر العقل ويبحث عن قدر لهذا المخلوق الضعيف المسكين الملقب: بالإنسان يجد أنه لا شيء، لا يفعل، بل يفعل به.

ومع ذلك قد أعطاه الله عقلاً وحرية ليكون مغيراً في هذه الدنيا... يفعل فيها ما يشاء مع علمه بالخطأ والصواب.

أيها الإنسان فأين أنت من الملك؟!!

أين العقول؟!!

يقول الله ﷻ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِن الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور: 35 - 37].

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 6827)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 3481)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 3831)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 536/2).

للهولة الأولى تجد أن هذه الآيات تخطف القلوب لو نطقت لقاتل بأعلى صوتها: أين عقلك أيها الإنسان!! كيف تغفل عن خالقك... لماذا جمدت القلوب؟!
استشعر المعنى وربك يقول: ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: 35]، ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ﴾ [الطور: 37].

كانت هذه البداية لتستشعر مدى ضعفك أمام القوي، ومدى نلّك أمام العزيز، ومدى فقرك أمام الفني، ولتستشعر هذا المعنى... «لأنّ الله وحده».

التخلص من كل الذنوب...!!

أردنا من هذا التنويه في البداية استجاشة للعاطفة وترقيقاً للقلوب ومعرفة كل منا بضعف إنسانيته بجوار خالقه العظيم، ولكن كان للبعض رأي آخر...
فهؤلاء الشباب الذين لا همّ لهم سوى صحبة الفتيات، وهؤلاء الشباب مدمنو الخمر والمخدرات... وغيرهم، ما زالوا فيما هم فيه... ولكن لهم معنا وقفة ستغير مجرى حياتهم، إنني أعلنها صريحة مدوية... إنكم أيها الأحبة تستطيعون التخلص من كل هذه الذنوب...!

وذلك بأن يمتلىء القلب بحب الله، فوالله إن حب الله نور ونار، نور يضيء للإنسان الطريق، ونار تحرق الشيطان والمعاصي، هيا نحب الله فيشرح الصدر ويتحرر الإنسان من قيد المعصية... بحب الله تجد إعانته لك، حتى وإن كنت مُصِراً على المعصية.

هيا... فلنما يقول ابن القيم: «أعظم الأبواب التي تدخل منها إلى الله هر باب الفقر والذلة لله ﷻ» عبادة الفقر والذلة أهلى عبادة تدخل بها على الله. انظر إلى النبي ماذا يقول في دعائه: «اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدلٌ في قضاؤك».

أيقول هذا الكلام قلب لم يتعلم بحب الله...!! والله يستشعر بالفناء وإنكار الذات وصدق العبودية والرومانية الصادقة والتوكل العمى عندما يمتلىء قلبك بحب الله... ذلك اثناء بما فيه ينضع.

وصف له وصف...!!

وانظر إلى النبي ﷺ حين وصف سيدنا جبريل يوم الإسراء والمعراج يقول: «رأيت

جبريل يوم المعراج كالحلس البالي من خشية الله».

والحلس هي قطعة القماش الممزقة... انظر إلى هذا الوصف... يقول ذلك النبي حين رأى انكماش واستكانة وخضوع وخشوع سيدنا جبريل، وهو من؟ ملك! وليس كأي ملك... إنه الروح الأمين.

إن ما فعله جبريل تجسيد لمكانة الله عنده...!!

هنا استعمرت هذا المعنى، من هذا الوصف تعلم من سيدنا جبريل كيف يقدر الله، وكيف انعكس ذلك على شكله... إنه النزيل أمام مرآة العظيم.

لم نخلق من أجل ذلك

خلقنا الله سبحانه وتعالى لنعبده يقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾... ﴿[الذاريات: 56] خلقنا سبحانه وتعالى لنعرفه، فمعرفة الله هي سر الوجود... خلقنا سبحانه وتعالى لنحبه.

يخطيء من يظن أن الله سبحانه وتعالى خلقنا لتأكل ونشرب ونتزوج وننجب ونموت.

لقد كرم الله بني آدم بالعقل، فهل بعد هذا التكريم برضوت بالدور؟! فما الفرق بينهم أنت وبين الأنعام؟ فهم بالكور وبسريوت وبنيصيرت وبميرتوت بل وبسبورتوت الله ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: 44].

الكيلائي يدلك على الباب...!!

يقول عبد القادر الكيلائي: «طرقت الأبواب إلى الله، فكلما طرقت باباً وجدت عليه أمة من الناس فهذا باب الصلاة، آلاف يدخلون منه، وهنا باب الصيام، آلاف يدخلون منه، فطرقت باب الذل فوجدته فارغاً فدخلت وقلت لهم هلموا...».

الكيلائي يطرق الأبواب جميعاً، ولكنها ملأى فدخل في باب الذل... ترى أي الأبواب طرقتا...؟!

يا رب أسألك مسألة المساكين، وأبتهل إليك ابتهاك الضعفاء، وأئن إليك أنين المندبين، أسألك مسألة من كثرت ذنوبه وقلت هيلته وعظمت مصيبتة، يا رب أنت

القرمي وأنا الضعيف اليك، وأنت الفني وأنا الفقير اليك، وأنت العظيم وأنا الذليل اليك، يا رب عبيدك سراي كثير، وليس لي رب سواك...

إلى النفس الطموحة

وأول ما خلق - وسنراه إن شاء الله في الجنة - هو عرش الرحمن، حينما جاء وفد إلى النبي ﷺ وقالوا له: يا رسول الله، ما كان أول هذا الأمر؟ فقال النبي ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء»⁽¹⁾.

الكثير منا من اشتاق الآن لرؤية العرش فهنياً له هذا السبق، فكلنا يعلم قصة عكاشة الذي كان في حضرة النبي ﷺ هو وبعض الصحابة، وكان الرسول يحدثهم فقال لهم: «إن هناك من يدخلون الجنة دون حساب» فقال عكاشة: ادع الله لي يا رسول الله أن أكون منهم. فقال له الرسول ﷺ: «أنت منهم يا عكاشة» فقال أحد الصحابة: ادع الله لي يا رسول الله أن أكون منهم، فقال له الرسول: «سبقك بها عكاشة»⁽²⁾. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

يقول النبي ﷺ: «إذا سألتكم الله الجنة فاسألوه الفردوس الأعلى، فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، منه تنبع أنهار الجنة، وسقفه عرش الرحمن»⁽³⁾.

إنها النفس الطموحة التي تسمى دائماً إلى المعالي، وصدق من قال:
وَمَنْ لَا يَجِبْ صُغُورَ الْجِبَالِ يَمِشْ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الْحَفَرِ
ولكن النفس التي قيدت ما بين الطعام والشراب، لا مكان لها وسط
النفس العظيمة التي تأمل أن تكون في رفقة النبي ﷺ في الجنة.

وما قدروا الله حق قدره

يقول النبي ﷺ: «ما السماء الأولى في السماء الثانية إلا كحبة في صحراء، وما السماء الثانية في السماء الثالثة إلا كحبة في صحراء، وما الثالثة من الرابعة إلا كحبة في صحراء، وما الرابعة في الخامسة إلا كحبة في صحراء، وما الخامسة في السادسة إلا كحبة في صحراء، وما

(1) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (الحديث: 341/2).

(2) أخرجه البخاري في (الحديث: 6542)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 521)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 2446)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 271/1).

(3) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 335/2).

السادسة في السابعة إلا كحبة في صحراء، وما السابعة في الكرسي إلا كحبة في صحراء، وما الكرسي في العرش إلا كحبة في صحراء، وما العرش في كف الرحمن إلا كحبة في صحراء.

ولا نُؤول ولا نُشبه ولا نُجسد ولا نقول إلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11].

تفكر أضيء العبيب في هذا الصديق هبداً واستمع هبلل الله... تذكر قدرة الله وانت واقف بين يديه، ناصباً قدميك تصل الأرض بالسماء...

اكتب علمي من خلقي...!!

إنني أسعى من خلال هذه الآيات والأحاديث إلى إيقاظ هذا القلب الذي طال نومه فأصبح مخدراً يحتاج لمن يهزه هزاً شديداً ليخرجه من هذا السبات العميق ولا أرى شيئاً يستطيع فعل ذلك في القلب سوى استشعار قدرة الله وغرسها في القلب...

وثاني الأشياء التي خلقت بعد عرش الرحمن، هو القلم يقول النبي ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وقال: وعرشه على الماء»⁽¹⁾.

فأول شيء خلق هو عرش الرحمن ثم القلم.

يقول النبي ﷺ: «خلق الله القلم»، فقال: اكتب فجرى بما هو كائن في هذه الساعة إلى يوم القيامة». رواه الترمذي، وأبو داود والإمام أحمد، روي هذا الحديث برواية أخرى يقول النبي ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى قال للقلم: اكتب علمي من خلقي إلى يوم القيامة»⁽²⁾.

فالبعض كلما قرأ هذا الصديق دار في ذهنه أمر وأخذ يفتل باله ويصمت عن العلماء في كل مكان ليهيئوا له عما في ذهنه ثم بعد الإلهابة لا يقتنع...!!
ولترضيع ما أتوا من أفضل بعض الأشياء.

السؤال الشهير...!!

سؤال يتبادر للذهن بمجرد سماع أن القلم كتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، وهو

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 6690)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 2156).

(2) أخرجه الترمذي في (الحديث: 2155)، و(الحديث: 3319).

سؤال شهير، إنه السؤال القديم الجديد، يقول هذا السؤال: الإنسان مخير أم مسير؟ تراه يقول: طالما قد كتب علينا ما الذي سنفعله لماذا نعمل إذا؟ ونتحرك ونتعب أنفسنا، لماذا سيتم الحساب يوم القيامة والله هو الذي كتب علينا أفعالنا؟

انه سؤال المك الاول، الذي يتفنن فيه الشيطان وتبرز فيه قوته... فيجعلك متفرغاً تفرغاً كاملاً لا شيء، الا للمناقشات والهرارات والاستفسارات. وباليك ذلك يأتي بفائدة...!!

لا تخرج من فهمه أبداً...!!

ولي هنا على هذا السؤال الشهير ثلاث التفاتات...

الأولى: أنني وجدت شيئاً عجيباً...! وهو أن سائل هذا السؤال من العصاة وليس من الطائعين...! هل سمعنا يوماً أحد الطائعين يسأل هذا السؤال؟!

لا بالطبع فإن الطائع الموصول بالله ﷻ، الذي امتلأ قلبه بحب مولاه لا يشغل باله بهذه الأمور الكلامية الفلسفية.

في حقيقة الأمر أن هذا السؤال أصيلاً يكون همزة للعاصرين فهو كالمضمر الذي يجعل المدمر أسيراً له، أما متاعل النور، أصحاب القلوب الطاهرة والطائعين، فهم متفردون بالعمل لا بالكلام والكسل، فلا يفرح من أنفاسهم هذا السؤال أبداً...

الصانع أعرف بصنعتة

الثانية: أن البعض يقول: ولكن الحديث صريح، فلقد قال الله للقلم: اكتب علمي! إذن كيف يحاسبنا الله وهو الذي جعلنا نعصبه؟! ولتوضيح هذه النقطة إليكم هذا المثال: أب عنده ثلاثة أولاد، أعطى كل واحد منهم عشرة جنهيات، وقال لهم: أنفقوا هذه الجنهيات العشر كيفما تشاؤون، فلکم مطلق الحرية في اختيار ما تشترون، وخرج الأولاد فجاء هذا الأب بكتاب وكتب فيه الولد الأول سينفق الجنهيات العشر في سبيل الله، والثاني لن ينفق جنهياً واحداً فهو بخيل، والثالث سينفق الجنهيات العشر فيما يغضب الله، وعاد الأولاد الثلاثة وتحدث كل منهم وحكى كيف تصرف في الجنهيات، فإذا بهم قد فعلوا ما كتبه الوالد في الكتاب...!!

سبحان الله...!! إن أباهم يعرفهم جيداً، وهو عالم بتصرفاتهم.

وفي نفس الوقت لم يخيرهم بين عمل شيء أو ترك شيء، والله المثل الأعلى فالله سبحانه وتعالى هو الذي خلقنا، فالله حين أمر القلم بالكتابة كانت كتابة علم لا كتابة إهبار، فنحن مغيرون لنا مطلق الصرية في الفعل والترك، كل شيء مكتوب في السمع المحفوظ... ولكن هل هناك أحد يعرف ما الذي كتب؟ إذا نحن في دار العمل والطاعة، وأنت مغير وهناك طريقان إما طريق الله وإما طريق الشيطان...

الثالثة: أن البعض لم يقتنع بالأولى ولا بالثانية وما زال ينتظر إجابة تقنعه، فهو ما زال في شك، وإلى هذا النوع أوجه سؤالاً... وأرجو أن تكون إجابتهم سريعة، يقول السؤال: هل ربنا تبارك وتعالى عادل أم ظالم!!؟ وبالفعل كانت الإجابة سريعة... الله عادل لا يظلم أحداً.

إذا لماذا كل هذا القلق والشك وعدم الاطمئنان...؟! وأنت تعلم أن الله هو العدل وهو المقسط.

حقاً إن هذا السؤال كفيلاً بالريد.

من يقول إذا أن الإنسان مسير. مجبر. على ما يفعل.

من يقول ذلك... كأنه يقول بأن الله ظالم.

... غايبة ما نريد...

ونعود سريعاً للحديث... فالله قال للقلم: اكتب، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة... أما أحسست شيئاً: «سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا...».

الله سبحانه وتعالى عليم بذات الصدور... إن الله بكل شيء عليم: «أما شعرت بالمراقبة... أما أحسست بأن حركاتك وسكناتك مراقبة من قبل الله ﷻ».

كيف بعد ذلك تنظر إلى الحرام؟! ألا تعلم أن الله ينظر إليك، أتختبئ من الناس لخوفك أن يروك على المعصية؟

ولا تأبه بنظر الله إليك...!! أجعلت الله أهون الناظرين إليك...!!

يقول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ

تَجَوَّى ثَلَاثَةً إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا حَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ [المجادلة: 7].

ماذا دهاك أيها الإنسان...؟

أنسيت أن لك رباً...؟! أم نسيت أن هناك يوماً سيكون للإنسان فيه حساب؟!

وداعاً للأرق...

إن القلم جرى بما هو كائن إلى يوم القيامة... ومما جرى به القلم الرزق أليس كذلك...؟! فلقد كتب لكل منا رزقه، فليَمَ إذا القلق والأرق والخوف الشديد على فوات الرزق...؟! الكل يخاف على المستقبل، ومن المستقبل...!!

لماذا كل هذا الخوف طالما أنك تجتهد وتأخذ بالأسباب للحصول على الرزق... أحبتي الكرام لقد كتب الرزق في اللوح المحفوظ حقاً... صدق رسول الله حين قال: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير يغدو خماصاً ويعود بطاناً»⁽¹⁾ وحتى التوكل على الله يتم بشيئين الأول: باليقين بأن الرزق قد كتب في اللوح المحفوظ، والثاني: بأن نأخذ بالأسباب فنجتهد للحصول على هذا الرزق.

التوكل عملياً...

وانظر إلى النبي ﷺ وهو يعلم شاباً صغيراً - ابن عباس ؓ - فيقول له كلمات ينبغي أن تنقش في قلوبنا: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك لن يضروك إلا بشيء، قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»⁽²⁾.

هكذا تترسخ الثقة بالله... هكذا تكون عقيدتنا... هكذا يكون التوكل حقاً... فلا خوف على فوات الرزق، قال ﷺ: «إن الله قسم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم»⁽³⁾ فالرزق قد تقسم، فعلام نتقاتل...!!

(1) أخرجه الترمذي في (الحديث: 2344)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 4164).

(2) أخرجه الترمذي في (الحديث: 2156)، وأخرجه الحاكم في «المستدرک» (الحديث: 541/3).

(3) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 387/1)، وأخرجه الحاكم في «المستدرک» (الحديث: 33/1).

وأنت أيتها الأم الطيبة لماذا كل هذا القلق... لماذا كل هذا الخوف... أسمعك تقولين: لقد تأخر زواج ابنتي لقد تعدت الثامنة والعشرين...

أيتها الأم الطيبة... اسم زوج ابنتك مكتوب عند الله، فلقد جرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة... أيها الناس... رجالاً ونساء... توكلوا على الله حق توكله اركنوا إلى القوي فأنتم ضعفاء... لو ركنتم إلى أنفسكم ستضيق عليكم الأرض بما رحبت، واعلموا أن من وُكِّل إلى نفسه افترسه الهم.

إياك... ثم إياك...

وكما رأينا... فأول ما خُلِقَ عرش الرحمن، ثم القلم، ثم اللوح المحفوظ. وقبل أن تكمل هناك مسألة يجب أن نتعرض لها. يقول النبي ﷺ: «إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول له من خلق السماء؟ فيقول: الله، فيقول له: من خلق الأرض فيقول الله، فيقول له: من خلقك فيقول الله. فيقول له: من خلق الله!!» فيقول النبي ﷺ: «فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل أمنت بالله ورسوله، فإن هذا الأمر عنه»⁽¹⁾ ويقول النبي ﷺ: «تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في ذات الله فإنكم لن تقدروا قدره»⁽²⁾ ويقول النبي ﷺ: «يسألكم الناس عن كل شيء وحتى يسألوكم: هذا خلق الله، فمن خلق الله؟ فإن سئلتهم فقولوا: الله قبل كل شيء، وخالق كل شيء، وهو كان بعد كل شيء».

وهنا قد يختلط الأمر عند البعض، ويقول: ألا نستعمل عقولنا؟! إن الله خلق لنا عقولاً لنفكر، فلقد جعل الله سبحانه وتعالى طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، لذا فالعقل مطالب بالتفكير في كل شيء، ولكن حينما نتكلم عن الله ﷻ خالق الكون ومدبره لن نستطيع العقل إدراك ذات الله، ولن يُقدَّر قدر الله، وبالتالي لا يسعه إلا أن يقول: «ليس كمثله شيء». إن عقولنا ناقصة. فهل الناقص يدرك ويستوعب الكامل.

شيء أجده في صدري!!

وهذه قصة لطيفة حدثت مع ابن عباس، ذهب إليه رجل وقال له: يا ابن عباس، شيء أجده في صدري...!! فقال: ما هو؟ فقال الرجل: والله لا أتكلم بها... فقال له ابن عباس:

(1) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 331/2).

(2) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (2/110)، وذكره القرطبي في «تفسيره» (4/312).

شيء من الشك - وساوس - فقال الرجل: نعم، كيف عرفت؟! فقال ابن عباس: إنما أجد هذا في من كانت بداية عهده مع الله، فإذا وجدت في نفسك شيئاً من هذا فقل: هو الأول والآخر، والظاهر والباطن... لا إله إلا الله، ليس كمثلته شيء.

ربما يظن البعض أن من يحدث له ذلك ضعيف الإيمان، أو أنه عاصٍ، أو أنه غافل. ولكن مقولة ابن عباس واضحة: «وإنما أجد هذا في من كانت بداية عهده مع الله» وهذا في أول قربه من الصلاة والذكر والدعاء والطاعة بوجه عام.

هل يا ترى إذا كنت طائعاً لله، لن يوسوس لك الشيطان بمثل هذه الأمور؟ إنه سيوسوس لك بأمور أخرى وبذلك يجعلك تعصي الله كل يوم بشكل جديد وبخطة ثانية لها مراحل وأعراف، ولكن كل من وضع قدمه على أول طريق نور الله يكون للشيطان معه هذا الحال.

أنت على الحق...

لقد أطلتُ كثيراً في عرض هذه النقطة - الوسواس - خوفاً من أن يشك بعض من تراوده أنه على الطريق الصحيح، وأن من لا تراوده هذه الوسواس على خطأ. وهذه ليست قاعدة، فهناك من يعفبه الله سبحانه وتعالى ويعصمه منها.

ولكنني وجدت لها أهمية، فالشيطان إذا أراد أن يوسوس يأتي للإنسان من باب الطاعة، كما أوضحنا، فهو يحاول بأي شكل أن يجعلك تكره هذه الطاعة، وهناك صورة نراها كثيراً وهي صورة الوسوسة في الوضوء، تجد أحدهم يتوضأ أكثر من مرة لوسوسته الشديدة التي شغله بها الشيطان... وساوس يلجأ لها الشيطان ليقنع الشاب والفتاة أنهما على خطأ وأنهما غير مؤهلين للتدين وللقرب من الله ﷻ... إنها خطة قد تبناها طيلة أيام حياته ليصل إلى ما يريد... فهل تكون عوناً له على النجاح...؟!

ظاهرة صحية..!!

والذي نجّاه الله وعافاه من هذه الوسواس لا يعتقد بأنه على خطأ، بل يحمد الله على هذه النعمة... أما غالب المتدينين فحدث لهم مثل هذه الوسواس، ولنَعْلَم أن هذه الوسواس بمثابة مؤشر على قرب الإنسان من ربه.

إنني أخطب في كل شاب وفي كل فتاة قلباً طاهراً نقياً يستعد الشيطان لإيقاعه في

الشهوات والمعاصي والأهواء، أخاطبه وأستحثه على الوقوف بشدة لتلك الهجمة التي سيستخدم فيها الشيطان كل أسلحته، ولكن ما قيمة الأسلحة أمام سلاح الإيمان.

ودواؤك كما علمت

إذا إياك أن تظن أنك سييء لأن هذه الوسواس تراودك. ثانياً: حينما يلجأ الشيطان للوسواس قل كما علمك النبي ﷺ وكما علمك ابن عباس... قل: أمنت بالله ورسوله، قل: لا إله إلا الله، قل: هو الأول والآخر والظاهر والباطن، قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، اذكر الله فبذكره يفر الشيطان. إننا الآن نضع العلاج لهذه الوسوسة وذلك:

أولاً: أن تعلم أنك لست شيئاً.

ثانياً: تقول كما علمت وتذكر الله.

ثالثاً: تصدق وهذه فكرة لطيفة... وإليك ما أقصد.

فكرة لطيفة...!!

إذا بدأ الشيطان في وسوسته عليك أن تتصدق، ولتكن صدقة محدودة (22 قرشاً أو 50 قرشاً) إياك أن تجعلها صدقة كبيرة فالميزانية لن تسمح...! ولكن احرص أن تتصدق مباشرة كلما راودتك تلك الوسواس، فتجد في اليوم - مثلاً - وسوس عشر مرات إذن أتصدق في هذا اليوم بجنيهين ونصف، فيجد الشيطان أنه كلما وسوس لك ازددت أنت حسنات، فلقد فتح لك باباً من أبواب الطاعة، فيكتشف أن هذا الباب لم يعد ينفع - الوسوسة - ولكن الشيطان لا ييأس بل يقول: سيصبر هذا الإنسان لمدة شهر فقط، فيستمر معك شهراً، ولكن جهودك أنت كانت أفضل منه. هكذا دائماً صمود الإيمان... وهنا يتراجع الشيطان منكس الرأس مهزوماً في هذه المعركة، ولكن بالطبع سيبحث عن باب آخر ليوقعك.

ما أحلى الانتصار وخاصة حين يكون في معركة طرفها هو الشيطان... وما أعظمك يا عمر فلقد انتصرت عليه انتصار الفاتحين.

بلى قادر...!

وأذكر أننا حين أوضحنا رؤيتنا الجديدة لقصص الأنبياء بينا أنها ستكون إسقاطاً على

واقعنا، وليست مجرد سرد للأحداث وفقاً للقصص بقدر الوصول للعبارة والعظة في كل موقف من المواقف... إذاً ماذا كان بعد عرش الرحمن والقلم واللوح المحفوظ؟ كان خلق السموات والأرض، يقول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾. ويقول أيضاً في آية أخرى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: 54]. ثم يفصل الله خلق السموات والأرض في سورة فصلت، يقول: ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَصَوَّرَهَا لَكُمْ أُشْجُورًا مَّشَاهِيرًا ﴿١﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رِجْسًا مِّن فَوْقِهَا وَيَنْزِلُ فِيهَا أَقْوَاتًا ﴿٢﴾ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿٣﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿٤﴾ فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سِنِينَ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴿٥﴾ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ﴿٦﴾ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٧﴾﴾ [فصلت: 9-12] ونعلم جميعاً أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يقول للسموات والأرض كن فيكون فبكلمة واحدة يكون الخلق، ولكن الله حكمة في أن تكون في ستة أيام.

افهم هذا المعنى جيداً...!!

أراد الله سبحانه وتعالى من خلقه للسموات والأرض في ستة أيام أن يعلمنا أن كل شيء في هذا الكون يسير بتدرج معين، وأن الأمور تسير كذلك خطوة بعد خطوة، وبالتالي نتعلم أن من جاءته مصيبة، والعياذ بالله، حلها يكون وفق خطوات ولا بد من الصبر على هذه الخطوات، ونتعلم أيضاً أن من أراد دعوة الناس فليصبر عليهم، فالناس لا يهتدون بكن فيكون، لا يهتدون بلحظة، فلا بد من الصبر.

إن هذا المعنى في غاية الأهمية فبعضنا لا يفهم هذا المعنى وبالتالي يتعامل مع الناس كالدب الذي يقتل صاحبه، يريد هداية الناس ولكنه يتبع أسلوب التنفير.

لقد تجرأوا على الله...!!

ولليهود كلام خطير في مسألة خلق السموات والأرض - بل لهم كلام خطير في أشياء كثيرة، انظر ماذا يقولون...

إنهم يزعمون بأن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، ولما انتهى من خلق

السّموات والأرض أراد أن يستريح! فاستراح في اليوم السابع، فكان اليوم السابع هو السبت...!

لا إله إلا الله....

ولذلك يردُ الله على هذا الكلام في القرآن الكريم ويقول: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (ق: 38).

أخبرونا من أي صنف أنتم من بني البشر؟! كيف تقولون ذلك على الله...؟

إن الراحة دليل على التعب... فهل الله يتعب...؟!.

«حاشا لله».

﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ هذا هو الحل المناسب لهم، وهو الحل المناسب أيضاً لكل المشاكل، إنه الصبر، إنه الحل الوحيد لكل ما هو قابل للتغيير.

أما ترضين...؟!.

وبمراجعة سريعة نجد أن ما خلق هو العرش والقلم واللوح المحفوظ والسّموات والأرض وبارك فيها وقدّر فيها أوقاتها، وفي هذا الصدد نذكر شيئاً لطيفاً وهو أن ربنا تبارك وتعالى جعل مع بداية الخلق أشياء عظيمة وهي معانٍ وأخلاق، وذلك قبل أن يخلق سيدنا آدم ﷺ فلنعش معها للحظات، وبنفوس صافية، وبعقول ناضجة، وفي جو رباني.

يقول النبي ﷺ: «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة؟ قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأن أقطع من قطعك قالت: بلى. فقال: لك هذا»⁽¹⁾.

هيا اغتنم الفرصة واستثمر تفاعلك مع هذا الحديث وكن سريع التأثير وسريع العمل... هيا انطلق بكل أقاربك هيا اطمئن عليهم... هيا وكن من الواصلين. كان هذا نداء الرحم في أول الخلق، وانظر إليها في الختام يقول النبي ﷺ: «ينصب الصراط فتأتي الرحم والأمانة فتقومان على جنبي الصراط، لا يمر أحد حتى تقول له أعطني حقي الذي

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 4830)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 6465)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 330/2).

أعطاني الله إياه يوم خلق السموات والأرض»⁽¹⁾.

أجيني... إن الدنيا هينة... إن الدنيا أقل من أن يتناحر الأهل عليها... أتقاطع أخاك من أجل الميراث، أتقاطعين أختك بسبب موقف.

آه... أيتها الدنيا لو يعلم أهلك قيمتك لعاملوك بما تستحقين.

أتدرون ما الباب...؟!؟

يقول أحد الصحابة في الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجه «حدثنا النبي ﷺ أنه باباً من قبل المغرب مسيره سبعون عاماً، يسير في عرضه الراكب سبعين عاماً، خلقه الله يوم خلق السموات والأرض لا يزال مفتوحاً فقال النبي ﷺ: «أتدرون ما الباب؟» قالوا: لا الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: «الباب هو التوبة، يظل مفتوحاً مسيرة سبعين ألف سنة»، خلق آدم عليه السلام وهذه إشارة تجعل الإنسان في منتهى السعادة فباب التوبة مفتوح. من يقول بعد ذلك: «أقبل الله التوبة أم لا...!».

أراك تعلمت من صلة الرحم، وأشعر بك ترفع يديك إلى السماء وتتساقط معك أطهر القطرات لتروي تربة التوبة بعد أن أجذبت.

اللهم تب علينا جميعاً... اللهم اجعلنا من التوابين.

انتهاز الفرصة الآن...!

إن شروط التوبة كما نعلم جميعاً ثلاثة:

الأول: الندم.

الثاني: الإقلاع عن الذنب.

الثالث: العزم على عدم العودة.

والآن فليستعرض كل منا ذنوبه، وليأخذها ذنباً ذنباً، ويطبق هذه الشروط الثلاثة عليه وليبدأ بالتنفيذ.

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 481)، مطولاً.

هنيئاً لكل من أجاد... هنيئاً لكل من تفاعل... هنيئاً لك من دحر الشيطان... هنيئاً لكل من أحب الله فتوكل عليه... هنيئاً لكل ذي قلب سليم.

واقتربت الملائكة: ويقول النبي ﷺ: «إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام فأنزل منه آيتين، فحتم بهما سورة البقرة ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها الشيطان»⁽¹⁾.

وهاتان الآيتان هما خواتيم سورة البقرة يقول الله ﷻ: ﴿ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفِرُقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: 285 - 286].

إنها مسألة تشغل بال الكثير من الناس وخاصة النساء، ألا وهي مسألة المس فالكل يخاف من الشياطين.

وهذا حديث يجعلنا لا نخاف أبداً فلقد أوضح النبي ﷺ أن البيت الذي تقرأ فيه هاتان الآيتان لا يقربه الشيطان ثلاثة أيام، وبالتالي فلا داعي للخوف والقلق فضلاً عن الذهاب للدجالين أو المشعوذين فالشفاء في أيديكم...!

فهي حرام إلى يوم القيامة...

ما زلنا مع الأشياء التي كانت قبل آدم ﷺ يقول النبي ﷺ: «إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام إلى يوم القيامة»⁽²⁾.

ولذا فنحن متيقنون أنها آمنة إن شاء الله إلى يوم القيامة، نشتاقي إلى زيارتك يا مكة... يا حبيبة رسول الله، نشتاقي إليك أيها البلد الحرام... يا من سار على ترابك خير خلق الله.

(1) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 274/4)، وأخرجه الدارمي في «سننه» (الحديث: 449/2).

(2) أخرجه ابن ماجه في (الحديث: 3009)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 32/4).

ولا يهلك يومها إلا هالك

يقول النبي ﷺ: «إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة أنزل منها إلى الأرض رحمة واحدة بها يتراحم الخلائق، فإذا كان يوم القيامة ضم الله هذه الرحمة إلى التسع والتسعين ثم بسطها على خلقه فلا يهلك يومها إلا هالك»⁽¹⁾.

رحمة واحدة تتراحم بها المخلوقات جميعها.

اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ولا تعذبنا فأنت علينا قادر والطف بنا يا مولانا فيما جرت به المقادير.

المعنى الخالد

يقول النبي ﷺ: «لما خلق الله الخلق، كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش، مكتوب فيه: رحمتي سبقت غضبي». وفي رواية أخرى: «إن رحمتي غلبت غضبي»⁽²⁾.

معنى خالد مكتوب في أعلى وأرقى مكان.

إن الأصل في تعامل الله معنا هو الرحمة، ولكن الغضب يكون نتيجة تصرفاتنا وأعمالنا.

أخي الحبيب... يجب أن تعيد ترتيب أوراقك من جديد هيا... فبداية الخلق لها معان وأهداف أردت إيصالها لك فهل وصلت...؟ هل اخترقت...؟

أين علاقتك بهم...؟

نستكمل الآية مع ما بدأناه بعد هذه الوقفة مع المعاني التي وجدت قبل خلق آدم عليه السلام... كانت وقفة لها ظلال وارفة... ظللت علينا بالرحم والخوف من قطعها.

ثم التوبة وبابها المفتوح، ثم الآيتين والتحصين من الشيطان، ثم مكة وحرمتها، ثم الرحمة.

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 6906)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 526/2).

(2) أخرجه البخاري في (الحديث: 3194)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 6903)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده»

(الحديث: 433/2).

والآن مع المخلوقات النورانية - الملائكة - والحديث عنهم شيق وجميل ومحبيب إلى القلب... وإيماننا بالملائكة جزء من عقيدتنا... وقبل الحديث عنهم... أسأل سؤالاً وهو: هل نحب الملائكة؟ هل بيننا وبينهم علاقة؟ أين هذه العلاقة...؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها نعيش مع أحاديث النبي ﷺ يقول النبي ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من النار، وخلق آدم مما وصف لكم»⁽¹⁾.

نحن نؤمن بأنها مخلوقات نورانية، ولكن لا نعرف الكيفية فلا نشغل أنفسنا بذلك، ونحن نعلم أنهم خلقوا قبل آدم بدليل قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: 30].

إنني لست كتاباً...!

ترى ما هي أشكال الملائكة؟ وما هو وصفهم؟ يقول النبي ﷺ: «رأيت جبريل في صورته له ستمائة جناح، كل جناح يسد الأفق كلما نظرت في ناحية من السماء وجدته يملؤها»⁽²⁾.

تخيل واسرح بخيالك وتصور هذا المخلوق العظيم.

وانظر إلى نفسك وحجمك الضعيف... كم نحن مساكين ضعفاء... كيف نتكبر على الله...؟! كيف نعصيه...؟!

أجبن... ليس هدفي حشو رأسك بمعلومات بقدر حرصي على إفادتك الإفادة العملية والتطبيقية، وبقدر حرصي على الوصول إلى هذا القلب الذي نال حظاً من التراب...! ويحتاج من ينفذ عنه هذا التراب، هدفي الحقيقي أن ينتقل خطوة إلى الله... ثم خطوة تالية وهكذا، فإن لم يحدث ذلك فما تمت الاستفادة، إن لم يقترب القلب من ربه ويتصل به فلا حاجة لكم بهذا الكلام.

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 7420)، وأخرجه الإمام أحمد في (الحديث: 168/6).

(2) أخرجه البخاري في (الحديث: 4856)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 431)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 3277)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 395/1).

تواضع يا عبد الله...

يقول النبي ﷺ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ أَنْ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةٌ سَبْعُمِائَةِ عَامٍ» (1).

سبحان الله...! يا لضعفنا، يقول الله ﷻ: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ حَلَقًا أَرِ السَّمَاءُ بَنَانَهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَتَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾﴾ [النازعات: 27 - 29].

تخيّلوا أحبتي الكرام هذا الملك الذي أُذِنَ للنبي أن يُحدث عنه، إنه مخلوق من مخلوقات الله وأنت كذلك مخلوق من مخلوقاته، ولكنه مطيع لربه متواضع له فهل أنت كذلك أم ترى لنفسك شيئاً...؟!!

وللملائكة أجنحة وصفها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَى أَجْنِحَةٍ مِثْنَى وَتِلْكَ وَرُبَعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر: 1].

حديث جميل يدلنا على خيارنا أرضاً وسماً!

لقد جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون من شهد بدرأ فيكم؟ فقال النبي ﷺ: «خيارنا»، فقال جبريل: وكذلك نعد - معشر الملائكة - من شهد بدرأ من الملائكة.

أين نحن من عبادتهم...؟

يقول النبي ﷺ: «أطت السماء - تكاد تقع - وَحَقُّ لَهَا أَنْ تَنْطَ، ما فيها موضع ثلاث أصابع إلا وفيها ملك قائم أو راعع أو ساجد فإذا قامت القيامة يقولون: سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادتك» (2).

يا الله...! فماذا نقول؟!!

ألم نقرأ قول الله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾ [فاطر: 16]. إنا نحن

(1) أخرجه أبوداود في (الحديث: 4727).

(2) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 173/5)، بنحوه.

المحتاجون إلى عبادته سبحانه، فعبادتنا لا تنفعه سبحانه ورغم هذه العبادة العظيمة من الملائكة إلا أن الله سبحانه وتعالى أسجدهم لآدم... رأيت مكانتك عند الله...؟! .

ومع ذلك ترى الملائكة تدنو لنا، وتستغفر لنا إنها علاقة بين طرفين والطرف الأول - الملائكة - يقوم بأدائها حق الأداء، أما الطرف الثاني...؟! .